قضايا - ثقافية

# رد على ايلي ابو سمره في مفهوم السعادة

انارة جديدة طلت على منبر «الانوار». عبر مفهوم جديد للسعادة، طالما بحاجة ان يعرفه كل انسان. لانه اذ عرف انه مسؤول عن السعادة، يستنتج ايضا انه مسؤول عن الالم، عندها تتوحد طاقته بالبحث عن الاسباب دون التلهي بقشور النتائج.

نعم! السعادة موجودة في الطبيعة، جمال الزهرة هاجع في اوراقها، وعطرها كامن في شذاها.

رونق الشمس ظاهر في شروقها، وقدسيتها متربعة على غروبها!

السعادة كامنة في تحول البذرة الى شجرة ثم زهرة فثمرة، لتعود سعيدة الى اصلها حيث انبثقت بعد اختبار المسار.

نعم، الكاتب والفيلسوف والشاعر والموسيقار يستقون غزارة انتاجهم من الطبيعة حيث الاخضرار يضفي الهدوء. وزقزقة العصافير مغروسة بخرير النهر تنعش النفس. وترنيمة الامواج تبعث الارتقاء.

نعم! نحن بحاجة لتقدير الكاتب الذي يسهر قرب كلمته يصقلها ويشذبها ليعطينا اياها. ولكننا لا نبالي اذ نقرأ كتابا او صحيفة. او مجلة، نأخذ ما نريده منها ونضع جانبا ما لسنا بحاجة اليه.

فالقارىء لا يفكر غالبا بالتعب والجهد والمعاناة التي قدمها لنا الساهر وراء صقل الكلمة، وتجسيدها من حدث او من واقع.

نعم! السعادة نسبية تنمو وتتضاءل وفق مستوى الوعي لدى كل شخص. اذ ان الطفل يفرح لدمية او قطعة حلوى تقدمها اليه - الفيلسوف يفرح لتعبير جديد يوصل به مفهومه الى سامعيه. الكاتب يفرح لعبرة جديدة تترك اثرا في ذهن القارىء. الموسيقار يرتاح للحن جديد يتغلغل في الاحاسيس ويصفو بالمشاعر انسيابا وهدوءا.

نعم! في الانسان كيان عظيم، ليس من لحم، وعظم، ودم فقط بل فيه النفس والروح ايضا. في النفس تقبع ازدواجيات الحياة وفي الروح تكمن الطاقات التي تحقق المعجزات.

نعم! سلبيات الافكار والمشاعر والتصرفات، هذه الميزات المتأصلة في النفس تمنع الانسان من التقدم، نحو التعرف الى ماهية هذه الطاقات المتربعة على عرشها منتضرة. تنادي بحرارة القابعين في غياهب المادة والجهل، تناديهم ليرتفعوا عن سلبياتهم، ويتجاوزوا الجدار الاسود المعتم، الذي اقفل الدروب منذ زمن بعيد. وما انفكت هذه الطاقات تطرق الابواب في الاحلام وعبر الضمير، من خلال الحدس والمعرفة المسبقة، وما اصطلح على التسمية «الحاسة السادسة».

كم مرة فكرنا بفلان يصل بعد قليل، وكم مرة قبل ان نطرح فكرة ما يطرحها غيرنا، وكم مرة نحلم حلما يتحقق غدا. المعنى واحد وراء كل هذه الحالات الا وهو الوعي. عندما نعي نرتقي بالسعادة من حلقة الى حلقة، من السعادة السطحية بمفهوم العامة، الى السعادة العميقة بمفهوم المتقدمين على مسار الوعي.

السعادة السطحية من وجد راحة في العمل، وتمتع بلذة جسدية، اما السعادة العميقة فتكمن في تحقيق عمل للمصلحة العامة والخير العام. نعم! الربط وثيق بين السعادة والصحة، السعادة لا تكتمل دون اكتمال الوعي، والصحة السليمة لا تكتمل دون اكتمال الوعي ايضا، والسعادة تكبر دائما باتساع رقعة الوعي.

الوعي هو المحور دائما، من يرفضه ملقيا التهم على الظروف، اقول له، هذ الظروف هي حافز للوعي، ان قبلنا بذلك ام لم نقبل الامراض حافز للوعي. كما هي نتيجة اللاوعي. واذا كانت غير ذلك فلا نظام في الكون ولا قانون، هذا لا يجوز وغير ممكن.

نعم! الفارق شاسع بين انسان اعطى الحياة وانسان اخذ منها، الفارق شاسع وبسيط، حيث الاول زاد سعادة على رصيد الاخرين، اما الثاني فكانت سعادته على حساب الاخرين، وهذا غير مقبول، لا من النظام الارضي، ولا من النظام الفوقي. النظام الالهي العادل.

نعم! نحن بحاجة اليوم ان نعرف مغزى الالم. ومفهوم السعادة هذه الازدواجية التي ترافق الانسان منذ عهود خلت، وما زال يتأرجح بين طياتها متسائلا: لماذا اتألم؟ لماذا لا اكون سعيدا دائما؟

ها هو الجواب اليوم يقرع العقول، ويفتح القلوب، ويوحد الدروب تحت شعار قلبنة العقل، وعقلنة القلب - التفكير بمحبة، والمحبة بوعي.

العقل هو التفكير والتحليل والتمييز والاستنتاج والقلب هو المحبة الشاملة لمصلحة البشرية، وليس المصلحة الخاصة الانانية.

الدرب هي الحكمة التي لا تتفتح الا بعد تطبيق خلاصة العقل والقلب التي طلت ببشائره على منبر «الانوار». وهنا يلفت الانتباه قول حكيم: لا تحزنوا للالم يغزو نفوسكم! ولا تفرحوا للسعادة تحتضن احاسيسكم! بل ابحثوا عن سبب الالم، وعن مصدر السعادة!

حيث لا الم ولا سعادة، بل وعي دائم!

**ميشال هيدموس**